

بسم الله الرحمن الرحيم قصة أم معبد

أيها الإخوة الكرام، مع موضوع جديد من موضوعات فقه السيرة النبوية، ننتقل إلى حديث أم معبد.

مَنْ هِيَ أُمُّ مَعْبِدٍ؟

قصة أم معبد وردت في كتب السيرة، النبي عليه الصلاة والسلام في طريق الهجرة إلى المدينة، أو في القسم الأخير من الرحلة مر بخيمة أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جذة، الحياة في البادية قاسية جداً، والمرأة في البادية تكون أيضاً قاسية، تحتبي والاحتباء كما قالوا: حيطان العرب، أي أن الإنسان في الخيمة ليس هناك جدران يستند إليها يضع يديه أمام ركبتيه -

فيتوازن، لذلك قالوا: الاحتباء حيطان العرب، ثم تطعم، وتسقي من يمر بها، وهذا من عادات كرم، لذلك العرب كانوا في الجاهلية كرماء جداً، وكانوا شجعان، وكانوا شرفاء، هم في الجاهلية.

أغض طرفي إن بدت لي جارتي*حتى يوارى جارتي مأواها**

هناك قصص رائعة جداً، لذلك كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه إنسان كان مشركاً وأسلم يقول له:

أسلمت على ما أسلفت من خير

[متفق عليه عن حكيم بن حزام]

وكان يقول عليه الصلاة والسلام:

خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

والذين أسلموا مع رسول الله، وكانوا أبطالاً كانوا في الجاهلية أخلاقيين،

قال تعالى:

وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ

(سورة الأعراف)

الصالح الذي لا يكذب، والذي يرحم الناس، والذي لا يخون، والذي يحب أن يقدم خدمات للناس هذا إنسان

صالح، لو لم يعجبك دينه فهذا سينتهي به صلاحه إلى الإيمان، لذلك اعتن به.

كرم أم معبد ومعجزة النبي في حلب الشاة العجفاء:

فأم معبد وزوجها أبو معبد كانوا كرماء، وكانوا يطعمون كل من يمر بهم

يسألها النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر، هل عندك شيء نشتريه منك؟

مسافة طويلة، الآن تركب سيارة مكيفة، والسرعة ١٨٠ كيلومتراً، تحتاج إلى أربع ساعات ونصف، أما

المسافة فيقطعها الراكب على ناقه في ١٢ يوماً،

فقالت: والله لو عندنا شيء ما بخلنا به عليكم، والشاء عازب، أي ليس في ضرعها حليب، وكانت سنة

شهباء قاحلة، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة، أي في طرف الخيمة، فقال: ما هذه

الشاة؟ قالت: خلفها الجهد، فمن شدة هزالها وضعفها لم تستطع أن تذهب مع أخواتها إلى المرعى، خلفها الجهد

عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟

ما هذا الأدب؟! أيام يدخل إنسان يجلس على الطاولة مكان صاحب البيت يستخدم الهاتف مكالمة خارجية،

ولا يستأذنه،

قال لها: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حليب فاحلبها، فمسح النبي صلى

الله عليه وسلم بيده ضرعها، وسمى الله، ودعا الله فتفاجت عليه ودرت، فدعا بإناء لها فحلب فيه حتى علته

رغوة، فسقاها فشربت حتى روت، وسقا أصحابه حتى روا، ثم شرب هو.

تواضع النبي صلى الله عليه وسلم:

متى شرب؟ آخر الناس شرباً، كان عليه الصلاة والسلام في خدمة أصحابه، وكان واحداً منهم، وكان يقدمهم

عليه،

ومرة كان مع أصحابه في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاة،

فقال أحدهم: عليّ نبحها، وقال الثاني: عليّ سلخها فقال الثالث: عليّ طبخها،

فقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب،

فقالوا له: نكفيك ذلك يا رسول الله،

قال: أعلم أنكم تكفونني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أصحابه.

كان إذا دخل عليه أعرابي لا يعرف من هو محمد، ماذا تستنبطون؟ يجلس مع أصحابه على الأرض من

دون أي تميز،

قال الأعرابي: أيكم محمد؟ فقال أحد الصحابة القريبين منه: ذاك الوضيء الذي به وضاعة في وجهه.

إذاً كان متواضعاً، كان مع أصحابه

قال: أعلم أنكم تكفونني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

مرة وهو قائد الجيش، وزعيم الأمة، ونبي الأمة، وآخر الرسل، وبعد الإسراء والمعراج سيد ولد آدم، سيد الخلق، وحبیب الحق، في بدر الرواحل قليلة والصحابة أكثر من ثلاثمئة، فقال:

كل ثلاثة على راحلة، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة - سوى نفسه كجندي في هذه المعركة - فركب الناقة، وانتهت نوبة النبي في ركب الناقة، أراد أن ينزل فتوسلا صاحبه أن يبقى ركباً، فقال كلمة والله لو رددتها ألف مرة لا أرتوي منها، قال: ما أنتما بأقوى مني على السير

(أحمد)

كان يتمتع بلياقة عالية جداً.

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف

[رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا بأغنى منكما عن الأجر

أنا أريد أجر المشي.

أحياناً يطلق الله لسان الإنسان فيترفع عن أي عمل صالح يراه تافهاً، هو لإلقاء الكلمات، ليجلس في الصف الأول دائماً، ليحترم، ليقوم الناس له، أما أن يطعم قطة مثلاً، أو أن يسعف كلباً مقطوعاً، أو أن يقوم بخدمة مسجد فهذه هو فوق ذلك،

سيد الأمة، وحبیب الحق، قال: ولا أنا بأغنى منكما عن أجر المشي، أريد أن أمشي كي أكسب الأجر مثلكم، هذا التواضع.

إنَّ أيَّ إنسان أيها الإخوة لا يقلد النبي عليه الصلاة والسلام في سيرته مع أصحابه لا يفلح، فإذا كان ثمة إنسان على الأرض يستحق أن نخدمه بلا مقابل كان هو رسول الله، ومع ذلك:

خدمه سيدنا ربيعة، وفي اليوم السابع قال: يا ربيعة: سلني حاجتك، قال: أمهلني يا رسول الله، فأملهه، فلما سأله ثانية قال: ادع الله لي أن أكون معك في الجنة، قال له: من علمك هذا؟ النبي يقصد حاجة مادية، لأنه خدمه، شعر النبي عليه الصلاة والسلام أن خدمة ربيعة له دين عليه،

إخواننا الكرام، معركة الخندق كانت من أقسى المعارك، أصحابه جاعوا جوعاً شديداً، وبردوا برداً شديداً، والخطر كبير جداً، والإسلام قضية ساعات، وينتهي حتى أن بعض الذي كان مع رسول الله قال: أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته؟ كأنه انسلخ من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا *
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا

(سورة الأحزاب)

الجوع شديد جداً، والبرد شديد، والخوف شديد، والخطر شديد، وجاءت قريش ومن لف لفها ليستأصلوا الإسلام كلياً، الإسلام بقي له ساعات،

صحابي جليل يحب النبي حباً جما انسل إلى بيته عنده شاة صغيرة، وأمر أهله أن تذبحها، وأن تطبخها ليأكل النبي صلى الله عليه وسلم.

أنا تساءلت: هل يعقل أن يأكل النبي وحده أو مع صاحبيه؟ مستحيل، وألف ألف ألف مستحيل،

فهو جاء بها سراً، وقال: يا رسول الله، كل هذه أنت وصاحبك، فنادى لكل أصحابه،

وكان في معركة، هذه من معجزاته الحسية، ما بقي واحد إلا وأكل، سبحان الله !!! المغزى أنه لا يمكن لنبي

أن يتميز على من معه، أبداً، هو واحد منهم، لذلك قال بعضهم:

يا من جنت الحياة وأعطيت ولم تأخذ، يا من ملكت القلوب، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية

الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل، ونهنت غريزة القطيع يا من هياك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت

واحداً فوق الجميع، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات

الناس عبادتك.

وجوب محبة النبي عليه الصلاة والسلام:

إن الذين افتدوه بأرواحهم لهم الراحون، هؤلاء عرفوا قدره، فإذا عرفت قدر رسول الله فلا بد من أن تهيم

به حباً.

والله إن هذا الذي رسم النبي عليه الصلاة والسلام بصور لا تليق بمؤمن حينما يكشف له الغطاء يوم القيامة

أنا أتصور أنه يقول لله عز وجل: يا رب لإرسالك بي إلى النار أهون علي مما ألقى، لا يحتمل، أعلمت من

رسمت؟ رسمت سيد الخلق وحبيب الحق، رسمت الذي أقسم الله بعمره الثمين، رسمت الذي عفا عن خصومه.

ما تظنون أني فاعل بكم قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء

[رواه ابن أبي شيبة عن صفية بنت شيبة]

إخواننا الكرام، محبة رسول الله جزء من الدين،

قال: والله يا رسول الله - سيدنا عمر - إني أحبك أكثر من أهلي، وأولادي، ومالي، إلا نفسي التي بين جنبي، فقال النبي الكريم: لما يكمل إيمانك يا عمر، إلى أن جاءه ثانية وقال: والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من نفسي، وأهلي، وأولادي، ومالي، قال: الآن يا عمر.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(سورة النساء)

أحد أركان الإيمان أن تحب النبي العدنان، محبتك له دليل إيمانك، لأن الرحيم يحب الرحيم، والكريم يحب الكريم.

رحمة النبي عليه الصلاة والسلام بأصحابه:

مرة أحد الصحابة، كتب إلى قريش اسمه حاطب بن بلتعة: إن محمداً سيعزوكم، سرب معلومات، قبل الغزو، فاخذوا حذرکم، فجاء النبي الوحي، وأخبره بما فعل حاطب، فطلب النبي الكتاب الذي أرسله حاطب مع امرأة خرجت من المدينة إلى مكة، تبعها صحابيان، وصلا إليها، أين الكتاب؟ فأنكرت، فقال أحدهما: لناخذن الكتاب أو لننزعن الحجاب، خافت فأعطتهم الكتاب، فتح الكتاب، حاطب بن بلتعة يقول: إن محمداً سيعزوكم فخذوا حذرکم، جاؤوا بالكتاب إلى النبي الكريم، واستدعى حاطباً،

هذه بالتعبير الحديث خيانة عظمى، بكل الدول والشعوب والتاريخ والحاضر والماضي والمستقبل عقابها الإعدام، فإذا شاء الله في القريب العاجل أن هيانا خطة لفتح القدس فرضاً، وسرّب واحد الخبر أن ثمة خطة، ماذا يفعل به؟ إعدام،

قال له: ما هذا يا حاطب؟

فبكى، قال له: والله ما كفرت، ولا ارتدت، ولكنني لصيق بقريش، وأنا واثق أنا الله سينصرك، أردت بهذا الكتاب أن يكون لي عند قريش أحمي بها أهلي وأولادي ومالي،

فقال عليه الصلاة والسلام: إن صدقته فصدقوه، ولا تقولوا فيه إلا خيراً.

هذه أخلاق أنبياء.

جاءه عكرمة، من أبوه؟ فرعون قريش، عكرمة بن أبي جهل أبو جهل أكفر كفار قريش، وألد أعداء النبي، ولم يدع أسلوباً في التنكيل لرسول الله إلا فعله ومات، قتل، جاء ابنه عكرمة مسلماً،

فقال عليه الصلاة والسلام: جاءكم عكرمة مسلماً فأياكم أن تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت.

فلذلك من رأى النبي عليه الصلاة والسلام بديهة هابه، ومن عامله أحبه.

منقول عن: السيرة - فقه السيرة النبوية - الدرس (٣٣-٥٧) : الهجرة -٨- قصة أم معبد - قصة حاطب بن بلتعة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٤-٠٢ | [المصدر](#)